1237



صاحب الجلالة الملك يوجه خطاباً إلى شعبه بمناسبة ذكرى انطلاق المسيرة الخضراء

فاس ــ وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني من القصر الملكي خطاباً الى شعبه بمناسبة الذكرى التاسعة لانطلاق المسيرة الخضراء.

وفيما يلي نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

في هذه المدينة بالذات، ومنذ تسع سنوات مضت، ألهمني الله سبحانه وتعالى المبدع فكرة المسيرة، ولم تقف عند هذا الحد رحمةُ الله بنا، بل أتاحت لنا أن تصبح تلك الفكرة حقيقة، ومكننا من أن نجعل من ذلك الحلم شيئاً ملموساً، وهدانا جميعا سبحانه وتعالى الى توحيد الصف، وتوحيد الكلمة، حتى قمنا بتلك المسيرة التي قلنا فيها في أوانها : انها من أعظم الأحداث التاريخية القديمة والعصرية.

ولكن اذا تذكرت ــ ولا أشك شعبي العزيز في دقة ذاكراتك ــ لم نعط الأمر بتنظيم المسيرة وانطلاقها الا بعدما أصدرت محكمة لاهاي حكمها التاريخي المعروف، وكنا ننتظر ذلك اليوم وذلك الحلم بتلهف وأمل واشتياق، فاذا بذلك الحكم يأتي وينصُّ بالحرف على أن هناك بين المغرب وسكان الصحراء وبين ملوك المغرب وسكان الصحراء، علاقات بيعة منذ قرون وقرون.

يتضح من هذا أن مسيرتنا لا بد أن تكونَ مبنية على المشروعية، لأنه ليس من عادتنا في القِدم ولا الآن أن نتسلط على ما ليس لنا، وبعدما ثبتت حقوقنا وأثبتت حقوقنا في الصحراء صرحنا بتنظيم المسيرة، وبعد أقل من ثلاثة أسابيع أمرنا بانطلاقها، فكان لتلك الملحمة الرائعة صدى في الآفاق وأصبحت تلك المسيرة رمزاً للمكارم.

وقيل فيك ــ ياشعبي العزيز ــ ما قيل، ووصفت بما وصفت، ومع ذلك فلم تُنصف كما كنتُ أريد أن تُنصف به، وما زلت أود وأرجو وأطلب وأتمنى أن تتدفق نابغة النابغين حتى تثبت للأجيال الحالية والآتية مدى الرمز الذي شخصه وجسده الشعب المغربي وهو يطأ وطنه المسلوب، ذلك انك دخلت بكتاب الله، الا وهو دينك واختيارك السياسي والمنهجي والمذهبي، وبِعَلَم بلدك وهو رمز استماتتك في سبيل وحدة ترابك واحترام سيادتك، ولم تمض الا بعض أيام حتى وقّع المغرب اتفاقية مدريد، تلك الاتفاقية التي سجلتْها هيأة الأمم المتحدة وجعلتْ منها مرجعاً قانونياً دوليا، ولم نتمكن من أن نذوق نشوة الانتصار ونتذوق حلاوة الوصال حتى تكدر الجو، وحتى وثب الواثبون وحاول ما يريد ان يغتصبه المغتصبون، وحاولت وأنا أعيش واياك تلك الأحداث ونحن في أكادير أن أجد في مذكرة ذاكرتي أو في مذكرتي ما يبرر ذلك العمل العدواني فلم أجد شيئا، بل رجعت الى سنة 1974 فلم أجد في مؤتمر القمة العربي المنعقد بالرباط أي شيء يشعر أو يشم منه شخصية صحراوية تجد من يدافع عنها لا للاتصال ببلدها بل للانفصال عنه، ثم رجعت بي الذاكرة الى الوراء أكثر ورجعت الى سنة 1972 حينما اجتمعت بالمرحوم الرئيس الهواري بومدين وخلال هذا الاجتماع وقع وزيرا البلدين المغرب والجزائر اتفاقية الحدود، واستمعتَ الى تسجيل كلمتي التي ارتجلتها، واستمعت الى الكلمة التي

ألقاها وهي مكتوبة فلم أجد فيها الا شيئاً واحداً هو : ان الجزائر سوف تبقى دائماً ملتزمة للمغرب، ومع المغرب حتى يستكمل وحدته الترابية.

أردت ــ شعبي العزيز ــ ان اذكرك بهذا حتى أجعل من هذه الذكرى ذكرى القانون والمشروعية، لأن القانون والالتجاء الى المشروعية، والقانون هو السبب الوحيد الذي يمكنه أن يذيب الحزازات وأن يجعلنا نتغلب على العراقيل والصعوبات، فالتحكيم لا ينصف الا الحق والحكم الذي يصدر عن التحكيم هو شيء موضوعي ليس متعلقاً بهذا البلد ضد هذا البلد، ولا برئيس هاته الدولة ضد رئيس تلك الدولة، يقال ويفتى به بكل نزاهة وتجرد، فكما اننا طبقنا القانون مع أنفسنا وكما أننا احترمنا التزاماتنا مع جيراننا أريد منهم اليوم أن يرجعوا الى الصواب، وأقول لهم هذا بكل اخوة، لأني ما زلت أتذكر يوم صرح الجنرال دو كول انه سيجعل من الجزائر شطرين، شطرٌ يمكن ان يكون فيه الاستفتاء، والشطر الآخر هو فرنسي. وكيفما كان الحال رغم ما كان بيننا من مذكرات ومناقشات حول الصحراء الجزائرية، كنا نحن في مقدمة المعارضين لهذا المشروع ولا نرضى حتى بحق الاستفتاء، وقلنا : الجزائر للجزائريين، فالتاريخ يعيد نفسه، يعيد نفسه فيما يخص المبادىء وفيما يخص الأخلاق وفيما يخص التروي والتخطيطات البعيدة، سيحتاج المغرب يوماً الى الجزائر ولكن الجزائر هي كذلك ستحتاج الى المغرب يوماً ما، فاذا كان هناك دين بين هذا وذلك فعلينا أن نمحوه، وعلينا أن ننطلق منطلقاً جديداً علماً منا بأنه لا مناص من التعايش والتعامل.

أقول هذا وأنا أعلم ما أقول، ولا يمكن للمغرب ان يعطي أكثر مما أعطى، ولا يوجد في المغرب رجل أكثر قرباً من السلم والمسالمة أكثر من عبد الله الضعيف هذا وخديمُكم، فعلينا أن نتحمل المسؤولية الحاضرة، وان نهيء ورثتنا لتحمل مسؤوليتهم في المستقبل.

القرن المقبل على بعد خمس عشرة سنة، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد، وستكون دول المغرب العربي اذذاك قوة من مئة مليون عربي مسلم، فما هي ياترى مسؤولية تلك الأجيال ؟

وأظن أنني اذا قمت بتعداد تلك المسؤوليات سواء بعددها أو بنوعياتها سنرجع الى ضميرنا لنتخطى هذا الحاضر تهييئاً للقيام بالمستقبل.

فما هي مسؤوليات المغرب العربي الكبير في القرن المقبل ؟

انها مسؤولية بالنسبة لشعوبه ومركباته ومقوماته، ومسؤولية بالنسبة للمغرب العربي ليسيْطر علمياً على خيراته ويخضعها لحاجياته ويجند لها جميع امكاناته، ومسؤولية مئة مليون مغرب عربي في القرن المقبل بالنسبة للشرق العربي، انها مسؤوليات ضخمة وجسيمة جداً ولاسيما اذا تمادى الشرق العربي ــ لا قدر الله ــ وتمادى كل المنتمين للجامعة العربية في اضاعة الوقت ونسيان العامل الزمني، ولنا مسؤولية أخرى جنوبية تجاه اخواننا الأفارقة دون ميْز عنصري أو ديني أو لوني، نحن أفارقة وسنبقى أفارقة، فلنا مسؤولية انسانية وحضارية وتحضيرية بالنسبة لمستقبل هذه القارة الافريقية.

وأخيراً لنا مسؤولية بالنسبة للبحر المتوسط، وبالنسبة للسلم العالمي في هذه المنطقة الحيوية من العالم، ولا ننس ان أكثر من نصف ضفاف البحر المتوسط الجنوبية هو ليبي تونسي جزائري مغربي، فاذا نحن ــ كما قلت ــ فكرنا وتبصرنا في عدد مسؤولياتنا بالنسبة للقرن المقبل بل وتجاوزنا وحللنا نوعية كل واحد من هذه المسؤوليات، فسنصل الى النتيجة الحتمية وهي انه ليس امامنا وقت نضيعه، بل سنكون مسؤولين جماعات

وفرادى على ضياع اية ثانية من الثواني، لأنه كيفما كانت سرعة الفكر البشري فسرعة الزمن وتلاحق الأيام والسنين والأحقاب والقرون أسرع من سرعة الفكر البشري.

ففي انتظار يوم لَمِّ الشَّمل قررنا أن لا نبقى ننتظر، فوثبنا وثبة عربية مغربية شاملة، وقفزنا على الحدود وربطنا أنفسنا بكل حرية واختيار بالبلد الشقيق ليبيا، ونؤكد هنا أن الاتحاد العربي الافريقي يجسد روح التساكن والتجانس والنزاهة، ويدل ان كان في حالة الى دلالة على انه ليس مصنوعا ولا موضوعاً ضد أحد، بل هو لفائدة الجميع.

حينما ذهبنا الى نيروبي اعتبر شخصياً — شعبي العزيز — انني تجاوزت السلطات المعطاة لي، فيبقى ان السلطة الوحيدة التي كانت بيدي هي ان استفتيك، هل تقبل الاستفتاء في الصحراء ؟ وأعترف أنه تجاوزت وتغفر لي هذا التجاوز علماً مني أن ما سبق بينك وبين أجدادنا وأجدادك، واسلافنا واسلافك هو الضامن علي ان هناك رصيداً من الثقة المتبادلة بيني وبينك، فتحملت شخصياً — بالنسبة لاسمي ولأسرتي الصغيرة ولأسرتي الكبيرة — هذا التجاوز وهذه المسؤوليات، ومع ذلك كنتَ راضياً مستبشراً فاذا به يقال لنا اليوم ان هذا لا يكفي، بل يجب ان تجلسوا على مائدة واحدة مع أناس هم مغاربة، والجلوس معهم على مائدة واحدة يصبح به الاستفتاء في غير موضوعه، ولا محل له من الاعراب، وزد وزد وزد.

المغرب لا يمكنه ان يتحمل اكثر مما تحمل، ولهذا شعبي العزيز الأوامر التي سأصدرها للوفد الذي سيمثلنا في اديس ابابا هي اوامر واضحة صارمة : طالبتم بالاستفتاء ووقف اطلاق النار باسم الله قبلنا، طالبتم في نيروبي الثاني في اجتماع مصغر على وضع النقط على الحروف فيما يخص كيفية الاستفتاء قبلنا كل ذلك، ولكن أكثر من هذا لا يمكن أن نقبل.

ولن أحرج اية دولة من الدول الصديقة، فالمغرب لا يريد ان يتضامن معه احد، المغرب اذا طُلب منه اكثر من هذا سيترك كرسيه لمن سيخلفه داعياً لمنظمة الوحدة الافريقية بطول العُمر والتوفيق، علماً منه ان اتخاذ قرار كمثل هذا — ولن نكون مسؤولين عنه بل نحن مدفوعون اليه — سيكون قراراً ذا مسؤولية تاريخية بالنسبة لمن سيدفعنا لاتخاذه، ولكن لن تقف هنالك المأساة، المأساة ستبقى عالقة بنفس كل رئيس دولة في افريقيا، يقول المثل العربي : «ان الطيور على امثالها تقع»، وأنا أقول : «من تجانس تجالس». فاذا وجد أعضاء منظمة الوحدة الافريقية كل صباح وكل مساء راحة ضميرهم في ان يجانسوا من يجالسهم او يجالسوا من لا يجانسهم هذه مسألة معلقة بضميرهم، ولكن لي اليقين ان عدداً غير قليل سوف يعيش أزمة ضمير بالنسبة لكرامة شعبه وبالنسبة لفكره، فلهذا أقول : ان مغامرة جديدة في منظمة الوحدة الافريقية سوف تكون القاضية على الوحدة الافريقية، لأن القادة لا يمثلون كرامة شعوبهم وحدها، بل يمثلون أيضاً المقاييس التي جعلت من تلك الشعوب ان لها علماً ونشيداً وطنياً ومقعداً في هيأة الأمم المتحدة، وسفراء وتمثيلاً دولياً وجهوياً، فاذا هم وضعوا هذه المقاييس او نزلوا بهذه المقاييس من مستواها الحقيقي الى مستوى وهمي وخيالي، فسيلحقون بكرامة شعوبهم ضرراً، وسوف يصبحون قلقين غير مرتاحي الضمير، وأصحاب ارق بالنسبة لأنفسهم واصحاب خجل بالنسبة لشعوبهم، فلهذا أقول حتى لخصومنا : ان شعوبكم منزهة على ان تجالس من لا يتجانس معها، لا اقولها لأصدقائنا ولكن أقولها للخصوم، علماً منا انهم ان لم يدركوا هذا من قبل فانهم سيدركونه «وغادي يتعداهم» كما يقول المثل الدارج.

اما نحن فموقف كهذا لا يزيدنا الا قوةً وروحانية، ولا يزيد من عزيمتنا الا ثباتا في الاستقرار، وفي القيام

بواجبنا، علماً منا ان الصحراء مغربية، وستبقى مغربية، وأريد أن لا تكون مغربيه بالكيفية الصغيرة، بل اريد ان تكون الصحراء، الصحراء المغربية، المغربيةَ الكبيرة، لقد ضيعنا سنين وسنين، وقد ضيعنا كذلك الوقت والزمن، فلنتصور اننا لو كنا منذ 1975 نكرس جهودنا وطاقتنا من طرابلس الى الدار البيضاء لاستثمار خيرات صحارينا المغربية الجزائرية التونسية الليبية، ولو كوننا رصيداً مشتركاً من الأدمغة والتكنولوجية، وجعلناها مجموعة تصبح كمخاطب فريد وشرعي لجميع شعوبنا متكلين على قاعدتنا الافريقية واجدين الأوكسجين في مياهنا المتوسطية، واجدين سنداً في الشرق العربي من اخواننا، لخطونا خطوات عظيمة الى الامام لترقى بلداننا وازدهارها، هل نتصور ما ضيعنا من وقت وما ضيعناه من طاقات ؟ ولكن اذا اراد الله سبحانه وتعالى واراد التاريخ وشاءت الأقدار ان نزيد في الاضاعة، فليكنْ !

اذا لم يكنْ الا الأسنة مـركبٌ   فمـا حيلـة المضطـر الا ركـوبها

أما أن يظن الظان كيفما كان اننا سنتعب أو نعيى او يلحقنا ملل، فهذه هي غلطة الغلطات، ولا دليل اقوى عليها من اننا في هذه الليلة بالذات نعانق مرة اخرى جميعَ من لهم شرفُ حمل وسام المسيرة، ونتوجه الى رعايانا في الأقاليم الصحراوية لنقول لهم : ناموا بخير وعلى خير، سيبقى ملككم ومواطنوكم في الشمال مدافعين عنكم الى آخر نقطة من دمهم، ونزيد ونترحم على شهدائنا الذين سقطوا في ميدان الشرف، ونبلغ اسرهم وابناءهم واراملهم عميق تقديرنا وصادق محبتنا، ونزيد فننوه بقواتنا المسلحة كلها والشرطية والدركية والمساعدة على ما قاموا ويقومون به وسوف يقومون به، ونزيد اننا في ميزانية هذه السنة وفي ميزانيات السنوات المقبلة سنبقى نعطي لميزانية الدفاع الوطني ما يجب من الأهمية ويتحتم، للدفاع عن حوزة بلدنا، ونقول كذلك نحن على استعداد لفتح جميع الملفات التي من شأنها أن تطفيء نار الشقاق لنخرج الى ميدان الوفاق، ولكن أرضنا هي أرضنا، وهويتنا هي هويتنا، ولن يكون مستقبلنا الا كماضينا.

ولنختم بهذه الآية : «قالوا ربنا افرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله». صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الثلاثاء 12 صفر 1405 — 6 نونبر 1984